

نفحات القرآن

[293] لأنّهم اعتقدوا بأنّ الإنسان مستقلّ في أفعاله أو اعتقدوا بأنّ الله قد أوكل إلى أوليائه خلق السماء والأرض وتنحّي جانباً ! وهذا ما يعارض صريح الآيات القرآنية التي تعتبر الله خالقاً لكلّ شيء وربّاً ومديراً لجميع الأمور ، ومن العجيب أنّ الإنسان المسلم المرتبط بالقرآن كيف يتّبع مثل هذه الأبحاث المنحرفة ؟! أمّا الأشاعرة فقد ابتلوا بلون آخر من الإنحراف والشرك ، لأنّهم أنكروا أوّلاً أصل العلّية في عالم الخلق خلافاً للوجدان والحسّ ، وثانياً إذا كان الإعتراف بأصل العلّية شركاً فإنّ الإعتقاد بأصل وجود الإنسان شرك أيضاً . إنّ الإنسان مختار وحرّ في فعله ولكن يجب أن لا ننسى أنّ قدرته وقوّته كلّها وحتّى حرية إرادته هي من الله تعالى ، فهو الذي أودع كلّ هذه القوى في الإنسان وهو الذي شاء أن يكون الإنسان حرّاً ، وعلى هذا فإنّ أعمال الإنسان في الوقت الذي تستند فيه إلى الإنسان فإنّها تكون مستندة إلى الله أيضاً ، ولا تخرج عن دائرة خلقه ، كالإعتقاد بأصل وجود الإنسان فإنّه وجود تابع ومتعلّق بغيره ، ولذلك لا يستوجب الشرك . وبملاحظة المثال الآتي يمكن أن تتّضح الحقيقة : إنّ كثيراً من القطارات تعمل بالطاقة الكهربائية ، والكهرباء يجري في شبكة على طول الطريق ويرتبط القطار بها عن طريق حلقة ، السائق في مثل هذا القطار حرّ في عمله ولكن في الوقت ذاته يكون عمله مرتبطاً بيد شخص آخر وهو الذي يراقب الطاقة الكهربائية على طول السلك ، فبإمكانه أن يقطع التيار الكهربائي بإرادته في أيّ لحظة شاء وذلك بالضغط على زر معين فيتوقّف القطار في مكانه . وبإمكانه - إذن - أن يقول إنّني حرّكت القطار بإرادتي ، كما يمكن لسائق القطار أن يقول ذلك ويصدق الإثنان ، إلّا أنّهما فاعلان الأول في المرحلة الأولى والعليا والثاني في المرحلة الثانية والسفلى التابعة ، فالفعل ينسب إذن إلى الإثنين ومع ذلك فإنّ سائق القطار مسؤول عن عمله وليس بمجبر . وعليه لا يكون الإعتقاد بحرية إرادة الإنسان شركاً في الخالقية .